ذاكرة

حين كانت الرحلة إلى القدس بضع دقائق

زعتر يلمع في الشمس

نمشي في ضيق الشوارع القديمة. أخاف الضياع فأمسك بيدها في زحمة البشر. ألوان وأشياء بدت لي كالسِّحر. لكنّنا كنّا نمرّ عليها بسرعة خوفها - خوف المدينة وخوف الأمومة. كانت تحبّ مشرفًا يطلّ على قبّة الصخرة، فتسرع للوصول إليه كما لو أنه الجنّة

أحمد الملّاح

«باب العامود» (باب دمشق) في القدس المحتلة (1985) (Getty)

قال لنا قائد الطائرة محذّراً: أغلقوا النوافذ فالشمس مخبّأة في ساعةٍ سَتُباغت.

ثمّ كان هدوءٌ لا يعتريه كلام. فقط هدير المحرّك كالشقّ في سور: يفتح في السكون مكاناً لنقلع. حلّقنا دون أن نعرف كيف وما سيحلّ بنا: وكنتُ منذ ساعات أُحضّر نفسي لمواجهة مع الأرض. ذهبت إلى عمان حتى أحجَّ الى الديار، على طائرة مرّةً أُولى وثانيةً وثالثةً، دائمًا نحو الديار: أُردّد كما تعوّدت اسمًا، علّه يتذكّرني: فلسطين فلسطين فلسطين.

■

هناك في جانب من الليل بدت لي الأرض بحرًا داكنًا. كان المحرّك يخفق كقلب يتعطّل ومن خلفي سمعتُ مواءً فتساءلت: هل حطّت بنا هذه المركبة في الأرض التي تركناها، ربما لكثرة ما كان من القطط في الشوارع، وفي الأزقّة، وحول الولائم. وكانَت أضواء المواضع حيث الجريمة تلوح لعيني كالجزيرة في الفراغ. وماذا أقول عن الغيم حين اقتربنا من الشاطئ... وسطعت
جراحٌ وانكشف لي ما اقترفه الضوءُ من دمٍ ودمار؟
كُلّ هذا لنبلوهم أيّهم أحسنُ مرقدًا. هنا تلقى المأساة صفعة حائكها وأشباحُنا أجسادٌ معلَّقة في السماء. ننتظر الجرح الذي سيشقّ في الشمس ملاذًا، وفي الظلمات، حيث يومًا سنرجع حتى نكون أخيرًا.
يا ترى هل سيوقظنا كل هذا الضياء أم رُبّ ضوء هو الليل الذي سوف يدفن أحلامنا في التراب.
قُل أيّها الساكن شيئًا
فالأماني هنا وقعُ خفيّ في الضباب.

■

والآن أقلعنا من جديد بعد أن حطّت بنا متاعبنا. كانت الشمس ساطعة كوباء يَفتك بأفكارنا أكثر من أجسادنا: وأجسادنا تموت في قبضة زمنٍ يتنكّر لنا يوماً فيوماً: هل سيكون المستقبل كذلك حائرًا كما هي الأرض الآن؟

■

إذن، عدت بعدما ماتت الأم، لغة في قبرها ترقد صابرة. أَمَوتٌ هذا أم السكوت الذي عوّدَتْ نفسها عليه؟
وعندما يحلّق بي هذا الطائر العرضي سأنسى ما اكتسبت من اللغة الأم. وكم تحالفني
المآسي لأنهل من صمتها شعراً، أُعتّقه في قارورة الوقت. في فلسطين التي ما تزال على اسمها، تُمنّي أحبتها بشيء غير هذا الجدار أو ذاك وتحلم
للاسم مكاناً.

■

لو أنّ أشباحا تبنّت وجعَنا هذا لكان لهذه الأرض أن تطمَئن ولكنّ ما فوق جسدها
المعرّى لا يُطَمْئن، وكلّما زاد المكان اتّساعًا ضاق بالأمن.
ألم يحن الوقت حتى نحرّف ما قاله الأنبياء؟
ألم يقل لك الملك الضلّيل أن تقف حتى تترك للصمت مساحات دون معتاد الكلام؟

■

أعود كما تعوّدت، حاملاً من المكان قصاصات أهديها لأحبابي وأعدائي، سواسية. كذا تعوّدت ولمّا خطوتُ على جانب من دمار الأرض وبدا لي ذاك الجدار الذي يعزل الأرض عن خطى أهلها، بدا لي خرافياً كما أرادت له الآلهة أن يكون.
صغرتُ كثيراً أمامه وتذكّرتُ أُمّي التي قبرها الآن ظلّه:
في قلب المخيم - حيث تلتحف الإسمنت. هنا الآن مرقدها.
وفي شمس حزيران، تحتضن الأرض أجساد موتاها، عندما أولادها وبناتها ينامون أخيرًا.

■

هنا كنت قبل الجريمة طفلًا اعتاد على الحياة كما هي، حرًّا من شَرَك الحقائق.

وقتها لم يكن هذا الجدار جدارًا، كان خيالًا وخوفًا.
وكانت نوال، وما زالت نوالًا، تجرّ حقيبتها في يد وفي الثانية ابنها الأصغر.
حين كانت الرحلة إلى القدس بضع دقائق، كنّا معًا نخرج من حافلة حمراء بعض الشيء، نمشي قليلًا نحو مخبز الكعك الأقدم بين مخابز القدس. وكانت لا تأمن إلّا لما أعدّته من الزعتر، فتمنعني عن زعتر

وقتها لم يكن هذا الجدار جداراً، كان خيالاً وخوفاً

نُسرع الى زاوية مظلّلة، نسرع حتى لا يبردَ الكعك

البائع الممزوج بكثير من الملح.
نمشي في ضيق الشوارع القديمة. أخاف الضياع فأمسك بيدها في زحمة البشر. ألوان وأشياء بدت لي كالسّحر: لو أنّي أحفل بها كلّها. لكنّنا كنّا نمرّ عليها بسرعة خوفها - خوف المدينة وخوف الأمومة. كانت تحبّ مشرفًا يطلّ على قبّة الصخرة، فتسرع للوصول إليه كما لو أنه الجنّة.
وعندما نقترب من خضرة الباب قبل الوصول الى الباحات كان يوقفنا
أناس يذوبون في الحرّ من كثرة ما أثقلوا بِهِ أجسادهم، مدجَّجون

برعبهم وبأسهم. وكانوا يردّدون الأسئلة ذاتها. يسائلوننا عن هوية. بدوا للطفل فيّ أُناسًا تائهين. وعند السؤال تصير حقيبة أمّي كنزًا، تبحث فيها بين المناديل والعلكة والفرائط...عن هويتها، تُشهرها في وجه مجنّد أو مجنّدة، مثقلة
بالحديد. حديد سيقذف الموت يومًا.

■

لم أكن أعرف حينها شيئًا. ودون كلام،
يشيرون إليها بالدخول أو الوقوف أو الرجوع:

أنا وهي، نسرع الى زاوية مظلّلة، نسرع حتى لا يبردَ الكعك. نجلس لا أعرف كيف: ثم تأخذ من الكيس دائرة من الخبز بالسمسم، تأخذ جانبًا
من ذلك الصفر العربي المطاول وتشقّ فيه جرحًا ثم تداويه بزعترها دون الكثير من الملح، كما هو المعتاد.
آخذه منها لأركض طفلًا في باحات المسجد الحجرية البيضاء.
وعندما أراها تنشغل عنّي بالصلاة، أُخرج من جيبي قصاصة الجريدة التي كنت أخذتها بخفّة من كيس، كعك، تلك التي يضعها البائع هكذا دونما ثمن. وعندما أراها في السجود، آخذ ممّا في القصاصة من زعتر يلمع في الشمس لكثرة ملحه.
أرشّ على ما رشّت، كثيرًا كثيرًا. فأنعم حينها بلحظة في الجنّة مثلها: خبز وسمسم وملح يذوب في فمي - وبين أسنان ما تزال في طراوتها تبلى... أقول لنفسي أخيرًا كما تعوّدتُ في الغربة أن أحاكيها: سأعشق ذاك المكان وكلّ ما سيأخذني إليه.

بطاقة

شاعر وأكاديمي فلسطيني من مواليد بيت لحم، مقيم في فيلادلفيا بالولايات المتّحدة الأميركية منذ نحو عقدين، حيث يدرّس الكتابة الإبداعية في «جامعة بنسلفانيا». يكتب الشعر باللغة الإنكليزية، التي صدرت له فيها مجموعة شعرية عام 2019، بعنوان «إنكليزية مُرّة»، عن «منشورات جامعة شيكاغو». حاصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من «جامعة إنديانا»، وقبلها على درجة الماجستير في الشعر من «هنتر كوليج».

إطلالة

الكِتابة والترجمة في فضاء التشارك

برهان التذاوُت

أساس الترجمة هو الاعتراف بالآخَر، ومشاركة المعرفة كما الخبرة والجمال بين المنتمين إلى ثقافات مختلفة. بهذا فقط نرسّخ فضاء الحوار

مزوار الإدريسي

ارتقى التطوّر الرقمي بالإنسان في العَقدَين الأخيرَين بصورة مُذهلة، فغزا العلومَ والفنون والاقتصاد وسواها، وفرَض علاقات وقِيَماً وتصرُّفاتٍ جديدة، ثمّ تكفَّلت شبكاتُ التواصُل الاجتماعي بالترسيخ السريع لتلك العلاقات والقِيم، إلى درجة أنّ من لا يُسايرُها، يبدو انعزالياً ومنتمياً إلى كوكب آخر. حقيقة أنّ بعض المفكّرين ارتابوا بهذه الشبكات، واعتبروها مُراقَبةً سائلةً، مثل زيغمونت باومان، واجتهاداً في أساليب السيطرة الناعمة للدَّولة على المواطنين، الذين يُذعنون لتحكُّمها فيهم، ولا يتردَّدون في تشارُك معطيات كثيرة عن حياتهم مع الآخَرين، بحُكم أنَّهم يَعرِضون طواعيةً ما يكون خاصاً بهم وحميماً. لكنّ هناك مَن ينظر إلى هذا السلوك بصفته سِمَة جديدة تطبع الحياة البشرية في العصر الرقمي، الذي أسقط افتراضياً الجدرانَ بين الدول والمجتمعات والأفراد، والذي تَسودُه فلسفةٌ تُعرَف بـ«التَّشارُك».
ويبدو لي أنّنا لن نختلف في أنّ التشارُك هو الهاجس المحرّك لكلّ كتابة بصفتها تواصُلاً، لأنّ المؤلّف يطمح عند كتابته لنصوصه إلى أن يتشارَكها مع أكبر عدد من القُرّاء، من خلال طبعها وتوزيعها، لكي تتخطّى هذه النصوص فضاءَها اللغوي والثقافي الذي أُنتِجت فيه، وتصل إلى ثقافات العالَم الأُخرى في لغاتها، والأكيد أنّ هذه العملية تُسمّى تشارُكاً أيضاً، وأنّ الترجمة هي السبيل المُمَهِّد لها والمُسهِمة الكبيرة في رواج سوقها. والمعروف أنّ أساس الترجمة هو الاعترافُ بالآخَر، بتقديمه إلى غير أبناء ثقافته، وإبداءُ الاستعداد لتَشارُك المعرفة والوعي بين المؤلِّف وقارئه في غير لسانه الأصلي، بإسهامها العمليّ والحاسم في إنجاح تبادُل المعلومة والخِبرة والجمال والقِيَم وغيرها بين المنتمين إلى ثقافات مختلفة، لضمَانها فضاءً يُرسِّخ الحوار بين أكثر من طرف، وما يترتَّب عنه ضمن العلاقات الاجتماعية من تقارب وتفاعل. وإذا ما استحضرنا أنّ مُهِمَّة الفلسفة بحسب دولوز هي ابتكار المفاهيم، فإنّ المفهوم الفلسفي الأكثر استيفاء للتعبير عن الترجمة هو ما يُعرَف في الفلسفة وعلم النفس بـ«التَّذاوُت» Intersubjectivité.
وكما نعلم، فإنّ الأفكار والمفاهيم تُسافر مثلما البضائع وغيرها، لذلك وجدنا لمفهوم التَّذاوت أو «الذاتية المشتَرَكة» تعريفاتٍ كثيرة، طِبقاً للمَبحث الذي يَستحضره أو يُوظِّفه. ونحن نُجمِله في كونه تفاعُلاً بين الناس بصدد أفكار أو مواقف تنتهي بهم إلى التفاهُم والتعايش، بناءً على نجاحهم في التحاوُر في ما بينهم، وفي تجسيد لذلك المُثلّث الأخلاقي، الذي اقترحه بول ريكور، والمعروف بـ«الاستهداف الأخلاقي» وأركانه ثلاثة؛ أوّلاً: التطلُّع إلى الحياة الجيّدة والخيِّرة، ثانياً: مع الآخرين، ثالثاً: في إطار مجتمع مؤسّسات عادلة.
هكذا تُقدّمُ الترجمة ذاتَها مثالاً ملموساً للتذاوُت نصّياً واجتماعياً، فهي تَحقُّق نصّي موسوم من جهةٍ أولى: بتفاعُل وتعاطُف ذاتٍ مضاعَفَة، الأولى هي ذاتُ المترجم، التي تسهر على إخراج النص المنقول بحلّة تُرضي مؤلِّفه مَبدئيّاً، بحيث تتجنَّب التحريف فيه وكلَّ أشكال الرِّقابة. والثانية هي ذات قارئ الترجمة بأُفُقه الإنساني الرحب، الذي يسعى إلى اكتشاف المختلف، والتفاعل مع قضاياه الجمالية والوجودية. وهي، من جهة ثانية، تَحقُّق نصي يُراعي حقوق المؤلِّف مثلما حدث للفرنسي أندريه جِيد لمّا ترجم له طه حسين رواية «الباب الضيّق»، والذي أبدى تحفُّظه بقوله: «يُدهشني اقتراحُكَ ترجمة كُتبي إلى لغتكم؟... إلى أيّ قارئ يُمكن أن تُساق؟ وأي الرغبات يمكن أن تُلَبَّى؟ ذلك أن واحدةً من الخصائص الجوهرية في العالَم المُسلم، في ما بدا لي، أنه وهو الإنساني الروح يَحمل من الأجوبة أكثر مما يُثير من أسئلة. أمخطئٌ أنا؟».
ليأتيَ ردُّ طه حسين في مقدّمة الترجمة نفسِها تعبيراً تَذاوُتياً بامتياز: «أأدهِشُك يا سيدي إنْ قلتُ لك إنّ (الباب الضيق) ليس أوّل كتاب تُرجم إلى العربية من كتبكم؟ فقد ترجمت (السمفونية الريفية) منذ أكثر من عشر سنين، وطُبعت ترجمتها غير مرّة. وترجمت بعد (الباب الضيق) (مدرسة النساء)، وفي النية أن يُقدّم (المُزيّفون) إلى قرّاء العربية. ومن يدري لعل (أقوات الأرض) أو (بروميتيه) أو (بالود) أن نُترجم في وقت قريب. إنّ الشرق العربي جدير أن تثق به. إنه يُذيع أدبك كما أذاع من قبل آداب قادة الرأي في العصر القديم».
(أكاديمي ومترجم من المغرب)

لن نختلف في أنّ التشارُك هو الهاجس المحرّك لكلّ كتابة

«بحران» لـ إليزابث بولزا، النمسا

زيارة موقع

صورة معاصِرة لأصوات عربية عريقة

مؤسّسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية

يوفّر موقع المؤسّسة اللبنانية خانات وزوايا لم نعتد عليها في أغلب المواقع الثقافية والفنّية العربية، مثل «الإذاعة» و«الجدول الزمني»

بيروت ـ **العربي الجديد**

من خلفية الموقع

ليس مفاجئاً أن «يصل» المرء إلى موقع «مؤسّسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية» قادماً من «فيسبوك». ذلك أن حساب المؤسّسة على موقع التواصل الاجتماعي، أو مجموعتها (المفتوحة) فيه، بالأحرى، تضمّ أكثر من 13 ألف مشترك، وهي غنيّة، إلى حدّ ما، بالمشاركات التي تستعيد، في الأغلب، أسماء وتجارب موسيقية قديمة، بعضُها لم يسمع به عامّةُ الناس من قبل.
لا يختلف موقع المؤسّسة (www.amar-foundation.org)، في غناه، عن مجموعتها في «فيسبوك». على العكس، نحن هنا أمام محتوى ثري ومرتّب في الآن نفسه ـ وهو ما لا تتيحه، بالتأكيد، مواقع التواصل التي تصطفّ فيها التدوينات والمشاركات في تتابع زمنيّ لا يميّز بين قطعة موسيقية وبين جُمَل تعريفية بفنانة أو فنان ما.
أوّلُ ما يلاحظه زائر الموقع هو «مُعاصَرَته».
فرغم موضوعه «الكلاسيكي» نوعاً ما ـ حيث تنشغل المؤسّسة اللبنانية، «بحفظ الموسيقى العربية القديمة ونشرها»، بحسب تعريفها لنفسها في خانة «عن المؤسّسة» أعلى الموقع ـ نجد أنفسنا أمام خلفية زاهية، أقرب إلى «البوب آرت» في طزاجتها وبساطتها، وهي بساطةٌ تُشاركها فيها زوايا الموقع وخاناته الستّ (إذا ما استثنينا «عن المؤسّسة» و«الاتصال بنا»).
الحديث هنا عن خاناتٍ من تلك التي لم نعتَدْ عليها في أغلب المواقع الثقافية والفنية العربية، ولا سيّما «الجدول الزمني»، الذي نجد أنفسنا، عند الضغط عليه، أمام شريط من السنوات يمكن لنا تقديمه أو تأخيره لنقرأ تعريفاً ـ عند عام 1801 ـ بساكنة بك، «أول مطربة ظهرت في مصر في عهد عبّاس الأول»، أو أن نعود به إلى عام 1885 الذي صادف ميلاد سامي الشوّا. لكنّ المشكلة التي قد يواجهها الزائر، هنا، تتمثّل في أنه عند ضغطه على «اقرأ المزيد»، للاطلاع أكثر على ما يقوله الموقع حول عازف الكمان الشهير، فإنه سيذهب إلى صفحة فارغة، إلّا من صورة للشوّا... ومن الزوايا التي يمتاز بها الموقع، أيضاً، تلك التي تحمل اسم «الإذاعة» ـ وإنْ كانت قليلة التحديث في الآونة الأخيرة ـ والتي تبثّ المؤسّسة عليها حلقاتٍ مسجّلة مستقاة من أرشيفها، تتناول فيها رموزاً موسيقية عربية، مثل زكريا أحمد.
ويمكن للزائر أن يطّلع، في خانة «إصدارات»، على الأقراص (الجميلة تصميماً ومضموناً) التي أصدرتها المؤسّسة في السنوات الماضية، في حين تُتيح له زاوية «وثائق» الاطّلاع على عدد المقالات، القليلة للأسف، والتي قد تكون نصوصاً تنشرها المؤسّسة، أو إعادة نشر لمقالاتٍ ونصوص قديمة أو منشورة في أماكن أُخرى.
كما يمكن لنا أن نلاحظ بعض الاختلاف في تحديث الموقع بين نسخته العربية وتلك الإنكليزية ـ التي تقودنا إليها محرّكات البحث قبل النسخة العربية ـ حيث تعود آخر المنشورات العربية، في قسم «أحداث» على سبيل المثال (وهو قسمٌ خاصّ بأخبار المؤسّسة واجتماعاتها ومشاركاتها في معارض)، إلى عام 2014، في حين نقرأ، في النسخة الإنكليزية من هذه الصفحة، خبرين بين 2018 و2020، آخرهما عن مشاركة المؤسّسة في معرض «الشرق الصوتيّ» الذي عُقد في متحف «موسم» بمرسيليا، جنوب فرنسا، بين تمّوز/ يوليو 2020 وكانون الثاني/ يناير 2021.

بعض الاختلاف في تحديث الموقع بين نسخته العربية وتلك الإنكليزية

فعاليات

تستمرّ، حتى مساء بعد غد الإثنين، الفعاليات التي تنظّمها «مؤسّسة الصورة العربية» في بيروت بالتزامن مع «اليوم العالمي للأرشيف»، الذي يُحتفى به سنوياً في التاسع من حزيران/ يونيو. يشهد اليوم الختامي عرضاً لأفلام قصيرة بدءاً من الخامسة عصراً، من بينها **حفظ ماء الوجه** (2000) لـ **جلال توفيق**.

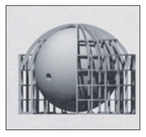

حكايا جغرافية: عمارةٌ أخرى للبيئة عنوان جلسة تستضيفها «دارة الفنون» في عمّان بدءاً من السادسة والنصف من مساء غد الخميس، يتحدّث فيها المعماريّان والباحثان في العمارة: **رانيا غصن** و **الهادي جزايري**. تحمل الجلسة عنوان كتاب أصدره المتحدّثان عام 2020، وفيه يناقشان كيفية تغيير تمثّلاتنا للعمارة، والأرض بشكل عام، في ظلّ الأزمة المناخية التي نعيشها.

بتنظيم من «البيت العربي» في قرطبة، يحتضن مسرح «غونغورا» في المدينة الإسبانية حفلاً، عند الثامنة والنصف من مساء الأحد، الثالث من تمّوز/ يوليو المقبل، للموسيقيَّين، الأردني ـ العراقي **ليث صدّيق** (كمان)، واليوناني **فاسيليس كوستاس**. يقدّم الفنّانان جانباً من ألبومهما **خطوات**، الصادر حديثاً.

يستضيف «غاليري ليوان» في القاهرة، منذ الرابع من حزيران/ يونيو الجاري وحتى الثامن والعشرين من تمّوز/ يوليو المقبل، معرضاً جماعياً بعنوان **الاختيار**، يضمّ أعمالاً لستّة عشر فنّاناً وفنانة من مصر وخارجها، من بينهم: **صبري راغب**، و **أسماء خوري**، و **علي حسّان**، و **هدايت شيراز** (اللوحة)، و **لوسيا راينر**.